نقد القومية العربية

على ضوء الإسلام والواقع

تأليف

عبد العزيز بن باز

المكتب الإسلامي

الطبعة الرابعة ١٤٠٠ بيروت

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلامياً
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد

فلا يشك مسلم له أدنى بصيرة بالتاريخ الاسلامي في فضل العرب المسلمين وما قاموا به من حمل رسالة الاسلام في القرون المفضلة ، وتبليغه لكافة الشعوب ، والصدق في الدعوة اليه ، والجهاد لنشره والدفاع عنه ، وتحمل المشاق العظيمة في ذلك ، حتى أظهره الله على أيديهم وخفقت رايته في غالب المعمورة ، وشاهد العالم على أيدي دعاة الاسلام في صدر الاسلام، أكمل نظام وأعدل حاكم ، ورأوا في الاسلام كل ما يريدون وينشدون من خير الدنيا والآخرة . وجدوا في الاسلام تنظيم حياة سعيدة تكفل لهم العزة والكرامة والحرية من عبادة العبيد ، وظلم المستبدين ، والولاة

الغاشمين ، وجـدوا في الاسلام تنظيم علاقتهم بالله سبحانه : بعبادة عظيمة تصلهم بِالله ، وتطهر قلوبهم من الشرك والحقد والكبر ، وتغرس فيها غاية الحب لله وكمال الذل له والتلذذ بمناجاته ، وتعرّفهم بربهم وبانفسهم ، وتذكّرهم بالله وعظيم حقه كلما غفلوا أو كادوا ان يغفلوا . وجدوا في الاسلام تنظيم علاقتهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وماذا يجب عليهم من حقه والسير في سبيله . ووجدوا في الاسلام أيضاً تنظيم العلاقات التي بين الراعي والرعية ، وبين الرجل وأهله ، وبين الرجل وأقاربه ، وبين الرجل وإخوانه المسلمين ، وبين المسلمين والكفار ، بعبارات واضحة وأساليب جلية . ووجدوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الصحابـة وأتباعهم بإحسان تفسير ذلك باخلاقهم الحميدة وأعمالهم المجيدة ، فأحب النـــاس الاسلام وعظموه ودخلوا فيه أفواجاً ، وأدركوا فيه كل خير وطمأنينة وصلاح واصلاح .

والكلام في مزايا الاسلام وما اشتمل عليه من

أحكام سامية وأخلاق كريمة ، تصلح القلوب ، وتؤلف بينها وتربطها برباط وثيق من المودة في الله سبحانه، والتفاني في نصر دينه، والتمسك بتعاليمه ، والتواصي بالحق والصبر عليه ، لا ريب ان الكلام في هذا الباب يطول. والقصد في هذه الكلمة الإشارة الى ما حصل على أيدي المسلمين من العرب في صدر الاسلام من الجهاد والصبر ، وما كرّمهم الله به من حمل مشعل الاسلام الى غالب المعمورة ، وما حصل للعالم من الرغبة في الاسلام والمسارعة الى الدخول فيه لما اشتمل عليه من الأحكام الرشيدة والتعاليم السمحة ، والتعريف بالله سبحانه وباسمائه وصفاته وعظيم حقه على عباده ، ولما اتصف به حملته والدعاة اليه من تمثل أحكام الاسلام في أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم حتى صاروا بذلك خير أمّة أخرجت للناس ، وحقّقوا بذلك معنى قوله تعالى : (كنتم خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس تامرونَ بالمعروفِ وتَنْهَوْنَ عن المنكرِ وتُؤمنون بالله) ومعنى الآية كما قال أبو هريرة رضي الله عنه : كنتم خير الناس للناس .

لا يشك مسلم قد عرف ما كان عليه المسلمون في صدر الاسلام فيا ذكرنا ، فهو من الحقائق المعلومة بين المسلمين ، ولا يشك مسلم أيضاً في ما للمسلين غير العرب من الفضل والجهاد المشكور في مساعدة إخوانهم من العرب المسلمين في نشر هذا الدين والجهاد في اعلاء كلمته وتبليغه سكان المعمورة ، شكر الله للجميع مساعيهم الجلية وجعلنا من أتباعهم بإحسان إنه على كل شيء قدير .

وإنما الذي يُنكر اليوم ويستغرب صدوره عن كثير من أبناء الاسلام من العرب انصرافهم عن الدعوة إلى هذا الدين العظيم الذي رفعهم الله به ، وأعزهم بحمل رسالته ، وجعلهم ملوك الدنيا وسادة العالم ، لّما حملوا لواءه وجاهدوا في سبيله بصدق واخلاص ، حتى فتحوا الدنيا ، وكسروا كسرى، وقصروا قيصر، واستولوا على خزائن مملكتيهما ، وأنفقوها في سبيل الله سبحانه ، وكانوا حينذاك في غاية من الصدق والاخلاص والوفاء والأمانة والتّحاب في الله سبحانه

والمُؤاخاة فيه ، لا فرق عندهم بين عربي وعجمي ، ولا بين أحمر وأسود ، ولا بين غني وفقير ، ولا بين شرقي وغربي ، بل هم في ذلك إخوان متحابون في الله ، متعاونون على البر والتقوى ، مجاهدون في سبيل الله ، صابرون على دين الله لا تأخذهم في الله لومة لائم ، يوالون في الاسلام ، ويعادون فيه، ويحبون عليه، ويبغضون عليه ، ولذلك كفاهم الله مكائد أعدائهم ، وكتب لهم النصر في جميع ميادين جهادهم ، كما وعدهم الله بذلك في كتابه المبين حيث يقول سبحانه : (وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصرْكم ويثبِّت أقدامكم) .

ثم بعد هذا الشرف العظيم والنصر المؤزر من المولى سبحانه لعباده المؤمنين من العرب وغيرهم ، نرى نفراً من أبنائنا يخدعون بالمبادىء المنحرفة ويدعون الى غير الاسلام ، كأنهم لم يعرفوا فضل الاسلام وما حصل لأسلافهم بالاسلام من العزة والكرامة والمجد الشامخ

والمجتمع القوي الذي كتبه الله لأهل الاسلام الصادقين، حتى ان عدوهم ليخافهم وهو عنهم مسيرة شهر ، نسي هؤلاء او تناسوا هذا المجد المؤثل والعز العظيم والملك الكبير الذي نالـه المسلمون بالاسلام ، فصار هؤلاء الابناء يدعون الى التكتل والتجمـع حول القومية العربية ، ويعرفونها بانها اجتماع وتكاتف لتطهير البلاد من العدو المستعمر ، ولتحصيـل المصالح المشتركة ، واستعادة المجد السليب .

وقد اختلف الدعاة اليها في عناصرها ، فمن قائل : انها الوطن ، والنسب ، واللغة العربية . ومن قائل : انها اللغة فقط . ومن قائل : انها اللغة مع المشاركة في الآلام والآمال . ومن قائل غير ذلك . اما الدين فليس من عناصرها عنـد اساطينهم والصرحاء منهم ، وقد صرح كثير بان الدين لا دخل له في القومية ، وصرح بعضهم انها تحترم الأديان كلها من الاسلام وغيره . وهدفها كما يُعلم من كلامهم هو التكتل والتجمـع والتكاتف ضد الأعداء ولتحصيل المصالح المشتركة كما

سلف ، ولا ريب ان هذا غرض نبيل وقصد جميل .

فاذا كان هذا هو الهدف ، ففي الاسلام من الحث على ذلك والدعوة اليه وايجـــاب التكاتف والتعاون لنصر الاسلام وحمايته من كيد الأعداء ولتحصيل المصالح المشتركة ، ما هو أكمل وأعظم مما يرتجى من وراء القومية . ومعلوم عنـد كل ذي لب سليم ان التكاتف والتعاون الذي مصدره القلوب والايمان بصحة الهدف وسلامة العاقبة في الحياة وبعد المهات – كما في الاسلام الصحيح – أعظم من التعاون والتكاتف على أمر اخترعه البشر ولم ينزل به وحي السماء ولا تؤمن عاقبته لا في الدنيـا ولا في الآخرة . وأيضاً فالتكاتف والتعاون الصادر عن إيمان بالله وصدق في معاملته ومعاملة عبـــاده مضمون له النصر وحسن العاقبة ، كما في الآيات الكريمات التي أسلفنا ذكرها ، بخلاف التكاتف والتعاون المبني عـلى فكرة جاهلية تقليدية لم يات بها شرع ولم يضمن لها النصر .

وهذا كله على سبيل التنزل لدعاة القوميـــة ،

والرغبة في إيضاح الحقائق لطالب الحق. والا فمن خبر أحوال القوميين وتدبّر مقالاتهم وأخلاقهم وأعمالهم، عرف أن غرض الكثيرين منهم من الدعوة الى القومية أمور أخرى يعرفها من له أدنى بصيرة بالواقع وأحوال المجتمع، ومن تلك الأمور: فصل الدين عن الدولة، وإقصاء أحكام الاسلام عن المجتمع، والاعتياض عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين شتى، وإطلاق الحرية للنزعات الجنسية والمذاهب الهدامة - لا بلّغهم الله مناهم - ولا ريب أن دعوة تفضي الى هذه الغايات يرقص لها الاستعمار طرباً، ويساعد على وجودها ورفع مستواها - وإن تظاهر بخلاف ذلك - تغريراً للعرب عن دينهم، وتشجيعاً لهم على الاشتغال بقوميتهم، والدعوة اليها والاعراض عن دينهم.

ومن زعم من دعاة القومية ان الدين من عناصرها فقد فرض اخطاء على القوميين وقال عليهم ما لم يقولوا، لأن الدين يخالف أسسهم التي بنوا القومية

عليها ويخالف صريح كلامهم ويباين ما يقصدونه من تكتيل العرب على اختلاف أديانهم تحت راية القومية.. ولهذا تجد من يجعل الدين من عناصر القومية يتناقض في كلامه، فيثبته تارة وينفيه أخرى، وما ذلك إلا أنه لم يقله عن عقيدة وإيمان، وإنما قاله مجاملة لأهل الاسلام، أو عن جهل بحقيقة القومية وهدفها. وهكذا قول من قال: إنها تخدم الاسلام أو تسانده، وكل ذلك بعيد عن الحقيقة والواقع، وانما الحقيقة أنها تنافس الاسلام وتحاربه في عقر داره، وتطلى ببعض خصائصه ترويجاً لها وتلبيساً أو جهلاً وتقليداً.

ولو كانت الدعوة إلى القومية يراد منها نصر الاسلام وحماية شعائره لكرّس القوميون جهودهم في الدعوة اليه ومناصرته وتحكيم دستوره النازل من فوق سبع سموات، ولبادروا الى التخلّق باخلاقه، والعمل بما يدعو اليه، وابتعدوا عن كل ما يخالفه، لأنه الأصل الأصيل والهدف الأعظم، ولأنه السبيل الذي من سار عليه واستقام عليه وصل الى شاطىء

السلامة ، وفاز بالجنة والكرامة ، ومن حاد عن سبيله باء بالخيبة والندامة ، وخسر الدنيا والآخرة ، فلو كان دعاة القومية يقصدون بدعوتهم اليها تعظيم الاسلام وخدمته ورفع شانه لما اقتصروا على الدعوة للخادم دون المخدوم ، وكرّسوا لهذا الخادم جهودهم ، وغضبوا من صوت دعاة الاسلام إذا دعوا اليه وحذروا مما يخالفه أو يقف حجراً في طريقه .

لو كان دعاة القومية يريدون بدعوتهم إعلاء كلمة الاسلام واجتماع العرب عليه ، لنصحوا العرب ودعوهم الى التمسك بتعاليم الاسلام وتنفيذ أحكامه ، ولشجعوهم على نصره ودعوة الناس اليه ، فإن العرب أولى الناس بأن ينصروا الاسلام ، ويحموه من مكائد الأعداء ، ويحكموه فيما شجر بينهم ، كما فعل أسلافهم لأنه عزهم وذكرهم ومجدهم كما قال الله تعالى : (لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون) وقال : (فاستمسك بالذي أوحي اليك إنك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسالون) .

وإذا عرفت أيها القارىء مـا تقدم ، فاعلم ان هذه الدعوة أعني الدعوة الى القومية العربية أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الاسلام والقضاء عليه في داره بزخرف مـن القول وأنواع مـن الخيال وأساليب من الخداع ، فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الاسلام ، واغترّ بها كثير من الأغمار ومـن قلّدهم من الجهال ، وفرح بذلك أرباب الالحاد وخصوم الاسلام في كل مكان . ومن المعلوم مـن دين الاسلام بالضرورة ان الدعوة الى القومية العربيـة او غيرها من القوميات ، دعوة باطلـة وخطأ عظيم ومنكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للاسلام وأهلـه ، وذلك لوجوه :

الأول : ان الدعوة الى القومية العربية تفرّق بين المسلمين ، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي ، وتفرّق بين العرب أنفسهم لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها ، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم ، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزاباً ، فكرة باطلة ، تخالف مقاصد

الاسلام وما يرمي اليه ، وذلك لأنه يدعو الى الاجتماع والوئام والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى كما يدل على ذلك قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاتة ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فانقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون) وقال تعالى : (هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم إنه عزيز حكيم) وقال تعالى : (منيبين اليه ، واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شِيَعاً كلُّ حزبٍ بما لديهم فرِحون) .

فانظر أيها المؤمن الراغب في الحق كيف يحارب الاسلام التفرق والاختلاف ويدعو الى الاجتماع والوئام والتمسك بحبل الحق والوفاة عليه ، تعلم بذلك ان

هدف القومية غير هدف الاسلام، وان مقاصدها تخالف مقاصد الاسلام ، ويدل على ذلك أيضاً ان هذه الفكرة ، أعني الدعوة الى القومية العربيـة ، وردت الينا من أعدائنا الغربيين ، وكادوا بهـا المسلمين ، ويقصدون من ورائها فصل بعضهم عن بعض ، وتحطيم كيانهم ، وتفريق شملهم ، على قاعدتهم المشؤومة « فرّق تسد » وكم نالوا من الاسلام وأهله بهذه القاعـدة النحيسة مما يُحزن القلوب ويدمي العيون .

وذكر كثير من مؤرخي الدعوة الى القوميـة العربية ، ومنهم مؤلف الموسوعة العربية : ان أول من دعا الى القومية العربية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي هم الغربيون على أيـدي بعثات التبشير في سوريا ليفصلوا الترك عـن العرب ويفرقوا بـين المسلمين ، ولم تزل الدعوة اليهـا في الشام والعراق ولبنان تزداد وتنمو حتى عقد لهـا أول مؤتمر في باريس من نحو ستين سنة وذلك عام ١٩١٠ م ، وكثرت بسبب ذلك الجمعيات العربية ، وتعدّدت الاتجاهات ،

فحاول الأتراك إخمادها بأحكام الاعدام التي نفذها جمال باشا في سورية في ذلك الوقت الى آخر ما ذكروا . فهل تظن أيها القارىء أن خصومنا وأعداءنا يسعون في مصالحنا بابتداعهم الدعوة الى القومية العربية وعقد المؤتمرات لها وابتعاث المبشرين بها ، لا والله ، إنهم لا يريدون بنا خيراً ولا يعملون لمصالحنا ، وإنما يعملون ويسعون جاهدين لتحطيمنا وتمزيق شملنا والقضاء على ما بقي من ديننا ، وكفى بذلك دليلاً لكل ذي لب على ما يراد من وراء الدعوة الى القومية العربية ، وانها معول غربي استعماري يراد به تفريقنا وابعادنا عن ديننا كما سلف .

ومن العجب الذي لا ينقضي ، أن كثيراً من شبابنا وكتابنا ـ ألهمهم الله رشدهم ـ خفيت عليهم هذه الحقيقة حتى ظنوا أن التكتل والتجمع حول القومية العربية والمناصرة لها أنفع للعرب وأضر للعدو من التجمع والتكتل حول الاسلام ومناصرته ، وهذا بلا شك ظن خاطىء واعتقاد غير مطابق للحقيقة .

نعم لا شك انه يحزن المستعمر ويقلق راحته كل تجمع وتكتل ضد مصلحته ، ولكن خوفه من التجمع والتكتل حول الاسلام أعظم وأكبر ، ولذلك رضي بالدعوة الى القومية العربية وحفز العرب اليها ليشغلهم بها عن الاسلام ، وليقطع بها صلتهم بالله سبحانه لأنهم إذا فقدوا الاسلام حُرموا ما ضمنه الله لهم من النصر الذي وعدهم به في الآيتين السابقتين . وفي قوله تعالى: (ولينصرنّ اللهُ من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين ان مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

ومعلوم عند جميع العقلاء أنه اذا كان لا بد من أحد ضررين ، فارتكاب الأدنى منهما أولى ، حذراً من الضرر الأكبر ، وقد دل الشرع والقدر على هذه القاعدة ، وقد عرفها المستعمر وسلكها في هذا الباب وغيره . فتنبه يا أخي واحذر مكائد الشيطان والاستعمار وأوليائهما ، تنجُ من ضرر عظيم ، وخطر

كبير ، وعواقب سيئة عافاني الله وإياك والمسلمين من ذلك .

ومما تقدم يعلم القارىء اليقظ ان الدعوة الى القومية العربية ـ كما انها اساءة الى الاسلام ومحاربة له في بلاده ـ فهي أيضاً اساءة الى العرب أنفسهم ، وجناية عليهم عظيمة ، لكونها تفصلهم عن الاسلام الذي هو مجدهم الأكبر ، وشرفهم الأعظم ومصدر عزهم وسيادتهم على العالم ، فكيف يرضى عربي عاقل بدعوة هذا شأنها وهذه غايتها ؟! ولقد أحسن الكاتب الاسلامي الشهير أبو الحسن الندوي في رسالته المشهورة « اسمعوها مني صريحة أيها العرب » حيث يقول في صفحة ٢٧ و ٢٨ ما نصه :

« فمن المؤسف المحزن المخجل أن يقوم في هذا الوقت في العالم العربي رجال يدعون الى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة ، والى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الايمان وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم ، وعن أمتن رابطة روحية

تجمع بين الأمم والأفراد والأشتات . إنها جريمة قومية تبز جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الأمة، وإنها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ ، وانها خطوة حاسمة مشؤومة في سبيل الدمار القومي والانتحار الأجتماعي» انتهى .

فتامل أيها القارىء كلمة هذا العالم العربي الحسني الكبير[1] الذي قد سبر أحوال العالم وعرف نتائج الدعوة الى القوميات وسوء مصيرها ، تدرك بعقلك السليم ما وقع فيه العرب والمسلمون اليوم من فتنة كبرى ومصيبة عظمى بهذه الدعوة المشؤومة ، وقى الله المسلمين شرها ووفق العرب وجميع المسلمين للرجوع الى ما كان عليه أسلافهم المهديون ، إنه سميع مجيب .

ثم لا يخفاك أيها القارىء الكريم غربة الاسلام اليوم وقلة أنصاره والمتحمسين لدعوته وكثرة المحاربين له والمتنكرين لأحكامه وتعاليمه ، فالواجب على أبناء

١ - هو ابو الحسن على الندوي الحسني سليل بيت النبوة .

الإسلام بدلاً من التحمس للقومية والمناصرة لدعاتها، ان يكرسوا جهودهم للدعوة الى الإسلام وتعظيمه في قلوب الناس، وان يجتهدوا في نشر محاسنه واعلان أحكامه العادله وتعاليمه السمحة صافية نقية من شوائب الشرك والخرافات والبدع والأهواء، حتى يعيدوا بذلك ما درس من مجد أسلافهم وحماستهم للاسلام وتكريس قواهم لنصرتهم وحمايته والرد على خصومه بشتى الأساليب الناجعة وأنواع الحجج والبراهين الساطعة. ولا شك أن هذا واجب متحتم وفرض لازم على جميع أبناء الإسلام، كل منهم بحسب ما أعطاه الله من المقدرة والإمكانيات التي يستطيع بها القيام بما أوجب الله عليه من النصر لدينه والدعوة اليه، فنسأل الله ان يمنّ على الجميع بذلك وان يصلح قلوبنا وأعمالنا وان يقر أعين المسلمين جميعاً بنصر الإسلام الصافي من الشوائب وظهوره على جميع خصومه في القريب العاجل، إنه سبحانه خير مسؤول وأقرب مجيب.

الوجه الثاني : أن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذّر منها وأبدى في ذلك وأعاد في نصوص كثيرة ، بل قد جاءت النصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهلية وأعمالهم إلا ما أقره الإسلام من ذلك ولا ريب أن الدعوة الى القومية العربية من أمر الجاهلية ، لأنها دعوة الى غير الاسلام ومناصرة لغير الحق ، وكم جرّت دعوى الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة وقودها النفوس والأموال والاعراض، وعاقبتها تمزيق الشمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب والتفريق بين القبائل والشعوب . قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : كل ما خرج عن دعوى الاسلام والقرآن من نسب او بلد او جنس او مذهب او طريقة ، فهو من عزاء الجاهلية ، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري : يا للمهاجرين ، وقال الانصاري : يا للأنصار ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم » وغضب لذلك غضباً شديداً . انتهى .

ومما ورد في ذلك من النصوص قوله تعالى : (وقَرْنَ في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) وقال تعالى : (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهلية) «وفي سنن أبي داود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : «ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية» وفي «صحيح مسلم» أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : «ان الله أوحى اليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد» ولا ريب ان دعاة القومية يدعون الى عصبية ويغضبون لعصبية ويقاتلون على عصبية ، ولا ريب أيضاً ان الدعوة الى القومية تدعو الى البغي والفخر لأن القومية ليست ديناً سماوياً يمنع أهله من البغي والفخر ، وانما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها على من نالها بشيء ، وإن كانت هي الظالمة وغيرها المظلوم ، فتأمل أيها القارىء ذلك يظهر لك وجه الحق .

ومن النصوص الواردة في ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان الله قد اذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، انما هو مؤمن تقي او فاجر شقي ، الناس بنو آدم وآدم خُلِقَ من تراب ، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » وهذا الحديث يوافق قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم) اوضح سبحانه بهذه الآية الكريمة انه جعل الناس شعوباً وقبائل للتعارف لا للتفاخر والتعاظم ، وجعل اكرمهم عنده سبحانه هو أتقاهم ، وهكذا يدل الحديث المذكور على هذا المعنى ويرشد الى ان سنة الجاهلية التكبر والتفاخر بالأسلاف والأحساب ، والاسلام بخلاف ذلك يدعو الى التواضع والتقوى والتحابّ في الله ، وان يكون المسلمون الصادقون من سائر أجناس بني آدم جسداً واحداً وبناء واحداً يشد بعضهم بعضاً ويألم بعضهم لبعض ، كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : المؤمن للمؤمن

كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ـ وشبك بين أصابعه ـ
وقال صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادّهم
وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى
منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »
فانشدك بالله أيها القومي هل قوميتك تدعو الى هذه
الأخلاق الفاضلة من الرحمة للمسلمين من العرب
والعجم والعطف عليهم والتالم لآلامهم ؟ لا والله ، وانما
تدعو الى موالاة من انخرط في سلكها ، وتنصب
العداوة لمن تنكر لها ، فتنبه أيها المسلم الراغب في
النجاة وانظر الى حقائق الأمور بمرآة العدالة والتجرد
من التعصب والهوى ، حتى ترى الحقائق على ما هي
عليه ، أرشدني الله وإياك إلى أسباب النجاة .

ومن ذلك ما ثبت في الصحيح أن غلاما من
المهاجرين وغلاماً من الأنصار تنازعا فقال المهاجري :
يا للمهاجرين ! وقال الأنصاري : يا للانصار ! فسمع
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أبدعوى
الجاهلية وأنا بين أظهركم » فاذا كان من انتسب الى

الى المهاجرين واستنصر بهم ، أو الى الانصار واستنصر بهم يكون قد دعا بدعوى الجاهلية مع كونهما اسمين محبوبين لله سبحانه ، وقد أثنى الله على أهلهما ثناء عظيماً في قوله تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) الآية ، فكيف تكون حال من انتسب الى القومية واستنصر بها وغضب لها ؟ أفلا يكون أولى ثم أولى بان يكون قد دعا بدعوى الجاهلية ؟ لا شك ان هذا من أوضح الإيضاحات .

ومن ذلك ما ثبت في الحديث الصحيح عن الحارث الأشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله أمر يحيى بن زكريا بخمس ان يعمل بهن ويامر بني اسرائيل ان يعملوا بهن » فذكرها ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « وأنا آمركم بخمس ، الله امرني بهن : السمع والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان يراجع ، ومن دعا بدعوى

الجاهلية فهو من جُثى جهنم » قيل : يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال : « وإن صلى وصام وزعم انه مسلم ، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله » وهذا الحديث الصحيح من أوضح الأحاديث وأبينها في ابطال الدعوة الى القومية واعتبارها دعوة جاهلية يستحق دعاتها أن يكونوا من جُثى جهنم وان صاموا وصلوا وزعموا انهم مسلمون . فيا له من وعيد شديد وتحذير أكيد ينذر كل مسلم من الدعوات الجاهلية والركون الى معتنقيها وإن زخرفوها بالمقالات السحرية والخطب الرنانة والخيالات الواسعة التي لا أساس لها من الحقيقة ولا شاهد لها من الواقع ، وانما هو التلبيس والخداع والتقليد الأعمى الذي ينتهي بأهله الى أسوإ العواقب ، نسأل الله السلامة من ذلك .

وهنا شبهة يذكرها بعض دعاة القومية أحب ان اكشفها للقارىء ، وهي أن بعض دعاة القومية زعم ان النهي عن الدعوة الى القومية العربية والتحذير

منها يتضمن تنقص العرب وانكار فضلهم .

والجواب ان يقال : لا شك ان هذا زعم خاطىء واعتقاد غير صحيح ، فإن الاعـتراف بفضل العرب وما سبق لهم في صدر الاسلام من أعمال مجيدة لا يشك فيه مسلم عرف التاريخ كما أسلفنا ، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم ومنهم أبو العباس ابن تيمية في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » : ان مذهب أهل السنة تفضيل جنس العرب على غيرهم ، وأورد في ذلك أحاديث تدل على ذلك ، ولكن لا يلزم من الاعتراف بفضلهم ان يجعلوا عماداً يتكتل حوله ويوالى عليه ويعادى عليه ، وانما ذلك من حق الاسلام الذي أعزّهم الله به وأحيا ذكرهم ورفع شأنهم ، فهذا لون وهذا لون ، ثم هـــذا الفضل الذي امتازوا به على غيرهم ، وما منّ الله به عليهم من فصاحـــة اللسان ونزول القرآن الكريم بلغتهـــم وإرسال الرسول العام بلسانهم ليس مما يقدّمهم عند الله في الآخرة ولا يوجب لهم النجاة اذا لم يؤمنوا ويتقوا ،

وليس ذلك أيضاً يوجب تفضيلهم على غيرهم من جهة الدين، بل اكرم الناس عند الله اتقاهم كما تقدم في الآية الكريمة والحديث الشريف، بل هذا الفضل عند أهل التحقيق يوجب عليهم ان يشكروا الله سبحانه اكثر من غيرهم، وأن يضاعفوا الجهود في نصر دينه الذي رفعهم الله به، وان يوالوا عليه ويعادوا عليه دون ان يلتفتوا الى قومية او غيرها من الأفكار المسمومة والدعوات المشؤومة، ولو كانت انسابهم وحدها تنفعهم شيئاً لم يكن أبو لهب وأضرابه من أصحاب النار، ولو كانت تنفعهم بدون الإيمان لم يقل لهم النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً» وبذلك يعلم القارىء السليم من الهوى ان الشبهة المذكورة شبهة واهية لا أساس لها من الشرع المطهر ولا من المنطق السليم البعيد من الهوى.

وهنا شبهة أخرى وهي قول بعضهم: أنه قد

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «اذا ذلّ العرب ذلّ الاسلام» ورواه بعضهم بلفظ: «اذا عز العرب عز الاسلام» قالوا: وهذا يدل على أن انتصار القومية العربية والدعوة اليها انتصار للإسلام ودعوة اليه، والجواب ان يقال: يعلم كل ذي لب سليم وبصيرة بالاسلام ان هذه سفسطة في السمعيات، ومغالطة في الحقائق، وتاويل للحديث على غير تأويله، سواء صح أم لم يصح، فإن الواقع يشهد بخلاف ما ذكره القائل، فقد ذل العرب يوم بدر ويوم الاحزاب، وصار في ذلهم عز الاسلام وظهوره، وانتصر العرب يوم أحد وصار في انتصارهم ذل المسلمين والمضرّة عليهم، ولكن الله سبحانه لطف بأوليائه وأحسن لهم العاقبة، فهل يستطيع هذا القائل أن يدّعي خلاف هذا الواقع؟ وهل يمكن أن يقول: ان انتصار العرب الكافرين بالله المحاربين لدينه انتصار للاسلام، من قال هذا فقد قال خلاف الحق وهو إما جاهل بالإسلام او متجاهل يريد أن يلبس الحق بالباطل ويخدع ضعفاء البصائر سبحان الله ما أعظم

شانه .

ثم أعود فاوضح للقارىء أن الحديث المذكور ضعيف الاسناد ، ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ أبـو الحسن الهيثمي في « مجمع الزوائد » لما ذكر هـــذا الحديث بلفظ « إذا ذلّت العرب ذل الاسلام » رواه أبو يعلى، وفي إسناده محمد ابن الخطّاب البصري ضعّفه الأزدي وغيره ووثقه ابن حبان . انتهى .

وقال الحافـظ الذهبي في « الميزان » ـ في ترجمة محمد المذكور ـ قـال أبو حاتم : لا أعرفه ، وقال الأزدي : منكر الحديث ، انتهى . قلت : وفي اسناده أيضاً علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف عند جمهور المحدّثين لا يحتج بحديثه لو سلم الأسناد من غيره ، فكيف وفي الإسناد من هو أضعف منه وهو محمد ابن الخطاب المذكور . واما توثيق ابن حبان له فلا يعتمد عليه لأنه معروف بالتساهل وقد خالفه غيره .

ولو صح الحديث لكان معناه : اذا ذلّ العرب الحاملون راية الإسلام والدعوة اليـــه ، لا العرب المتنكرون له الداعون الى غيره . ولا يجوز ان يرد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مـــا يخالف القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أبداً ، فإن كلام الله لا يتناقض ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ، والسنة لا تخالف القرآن بل تصدّقه وتوافقه وتدل على معناه وتوضح ما أجمل فيه[1] .

وقد علق الله سبحانه في القرآن النصر على الايمان

---

١ – بل الحديث موضوع كما حقق ذلك المحدث الشيخ ناصر الدين الالباني في « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة » رقم ١٦٣ في بحث طويل مفيد وضمنه بما يوافق ما ذهب اليـه الشيخ ابن باز حيث قال الالباني : « جملة القول : إن فضل العرب إنما هـــو لمزايا تحققت فيهم » فاذا ذهبت بسبب إهمالهم لاسلامهم ذهب فضلهم ، ومن أخذ بها من الأعاجم كان خـيراً منهم « لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » ومن هنا يظهر ضلال من يدعو إلى العروبة وهو لا يتصف بشيء من خصائصها المفضلة .».

بالله والنصر لدينه ، فلا يجوز ان يرد في السنة ما يناقض ذلك ، فتنبه أيها المؤمن واحذر من الشبهات المضللة والأحاديث المكذوبة والآراء الفاسدة والأفكار المسمومة، فإن الخطر عظيم والمعصوم من عصمه الله سبحانه ، فاعتصم به وتوكل عليه وتفقه في دينه واستقم عليه تفز بالنجاة والعاقبة الحميدة .

وهذه الشبهة وأمثالها تفسر لنا ما صح به الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث حذيفة : انه قال : كان الناس يسالون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت اساله عن الشر مخافـــة ان يدركني ، فقلت : يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شرّ ؟ قال : « نعم » . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : « نعم وفيه دخن » قلت : ما دخنه ؟ قال : « قوم يستنّون بغير سنتي ويهدون بغير هَدْيي تعرف منهم وتنكر » قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : « نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من اجابهم

اليها قذفوه فيها » قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، قال : « هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » قلت : فما تأمرني يا رسول الله ان أدركني ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعضّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك ». رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري .
فهذا الحديث العظيم الجليل يرشدك أيها المسلم الى ان هؤلاء الدعاة اليوم الذين يدعون الى أنواع من الباطل كالقومية العربية والاشتراكية والرأسمالية الغاشمة ، وإلى الخلاعة والحرية المطلقة وأنواع الفساد كلهم دعاة على أبواب جهنم ، سواء علموا أو لم يعلموا ، من أجابهم الى باطلهم قذفوه في جهنم . ولا شك أن هذا الحديث الجليل من أعلام النبوة ودلائل صحة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث اخبر بالواقع قبل وقوعه فوقع كما اخبر .

فنسأل الله لنا ولسائر المسلمين العافية من مضلّات الفتن ، ونسأله سبحانه ان يصلح ولاة أمر المسلمين

وزعماءهم حتى ينصروا دينه ويحاربوا ما خالفه . انه ولي ذلك والقادر عليه .

الوجه الثالث من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة الى القومية العربية : هو أنها سلّم الى موالاة كفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم . ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير والمخالفة لنصوص القرآن والسنة الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة . والنصوص في هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ...) الآية . سبحان الله ما أصدق قوله وأوضح بيانه ، هؤلاء القوميون يدعون الى التكتل حول القومية العربية مسلمها وكافرها ، يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة ، نخشى ان يعود

الاستعمار الى بلادنا ، نخشى ان تسلب ثرواتنا بأيدي أعدائنا ، فيوالون لأجل ذلك كل عربي من يهود ونصارى ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم تحت لواء القومية العربية ، ويقولون : ان نظامها لا يفرق بين عربي وعربي وان تفرقت اديانهم ، فهل هذا الا مصادمة لكتاب الله ومخالفة لشرع الله وتعدٍ لحدود الله وموالاة ومعاداة وحب وبغض على غير دين الله ؟ فما أعظمَ ذلك من باطل وما أسوأه من منهج . القرآن يدعو الى موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين أينما كانوا وكيفما كانوا ، وشرع القومية العربية يأبى ذلك ويخالفه (قل أأنتم أعلم أم الله) ويقول الله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تُلقون اليهم بالمودّة) – الى قوله تعالى : (ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل) .

ونظام القومية يقول : كلّهم اولياء مسلمهم وكافرهم ، والله يقول : (شَرَعَ لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصّينا به

ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه ...) الآية . ويقول سبحانه : (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم : إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم او اخوانهم او عشيرتهم) وشرع القومية ، أو بعبارة اخرى شرع دعاتها يقول : اقصوا الدين عن القومية ، وافصلوا الدين عن الدولة ، وتكتلوا حول أنفسكم وقوميتكم حتى تدركوا مصالحكم وتستردوا امجادكم ، وكان الاسلام وقف في طريقهم وحال بينهم وبين أمجادهم ، هذا والله هو الجهل والتلبيس وعكس القضية ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

والآيات الدالة على وجوب موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين والتحذير من توليهم كثيرة لا تخفى على أهل القرآن ، فلا ينبغي ان نطيل بذكرها .

وكيف يجوز في عقل عاقل أن يكون أبو جهل وأبو لهب، وعقبة ابن أبي معيط، والنضر بن الحارث واضرابهم من صناديد الكفار في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يومنا هذا إخواناً وأولياء لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ومن سلك سبيلهم من العرب الى يومنا هذا .. هذا والله من أبطل الباطل وأعظم الجهل. وشرع القومية ونظامها يوجب هذا ويقتضيه وإن أنكره بعض دعاتها جهلاً أو تجاهلاً وتلبيساً ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

وقد أوجب الله على المسلمين ان يتكاتفوا ويتكتلوا تحت راية الاسلام ، وان يكونوا جسداً واحداً وبناء متماسكاً ضد عدوهم ، ووعدهم على ذلك النصر والعز والعاقبة الحميدة كا تقدم ذلك في كثير من الآيات ، وكما في قوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون

بي شيئاً ...) الآية . وقال تعالى : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) فوعد اللهسبحانه عباده المرسلين وجنده المؤمنين بالنصر والغلبة واستخلافهم في الأرض والتمكين لدينهم ، وهو الصادق في وعده ، (وعد الله لا يخلف الله الميعاد) وإنما يتخلف هذا الوعد في بعض الاحيان بسبب تقصير المسلمين وعدم قيامهم بما أوجب الله عليهم من الايمان بالله والنصر لدينه كما هو الواقع ، فالذنب ذنبنا لا ذنب الاسلام ، والمصيبة حصلت بما كسبت أيدينا من الخطايا كما قال تعالى : (وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) .

فالواجب على العرب وغيرهم التوبة إلى الله سبحانه ، والتمسك بدينه ، والتواصي بحقه ، وتحكيم شريعته ، والجهاد في سبيله . والاستقامة على ذلك من الرؤساء وغيرهم ، فبذلك يحصل لهم النصر ويهزم

العدو ، ويحصل التمكين في الأرض وان قل عددنا وعدتنا ولا ريب ان من أهم الواجبات الإيمانية أخذ الحذر من عدونا ، وأن نعدّ له ما نستطيع من القوة ، وذلك من تمام الإيمان ومن الأخذ بالأسباب التي يتعين الأخذ بها ، ولا يجوز اهمالها كما في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) وقولـــه تعالى : (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة) .

وليس للمسلمين ان يوالوا الكافرين او يستعينوا بهم على أعدائهم فانهم من الأعداء ولا تؤمن غائلتهم . وقد حرم الله موالاتهم ونهى عـــن اتخاذهم بطانة ، وحكم على من تولاهم بانه منهم ، وأخبر ان الجميع من الظالمين كما سبق ذلك في الآيات المحكمات ، وثبت في « صحيح مسلم » عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل بدر ، فلما كان بـ « حرّة الوبرة » ادركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ، ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما أدركه قال

لرسول الله صلى الله عليه وسلم : جئت لأتبعك وأصيب معك . قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تؤمن بالله ورسوله ؟ » قال : لا ، قال : « فارجع فلن استعين بمشرك » قالت : ثم مضى حتى اذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما قال اول مرة ، فقال : لا ، قال : « فارجع فلن استعين بمشرك » قالت : ثم رجع فادركه في البيراء فقال له كما قال أول مرة : « تؤمن بالله ورسوله ؟ » قال: نعم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فانطلق .. » فهذا الحديث الجليل يرشدك الى ترك الاستعانة بالمشركين ، ويدل على أنه لا ينبغي للمسلمين ان يدخلوا في جيشهم غيرهم ، لا من العرب ولا من غير العرب ، لأن الكافر عدو لا يؤمن .. وليعلم أعداء الله ان المسلمين ليسوا في حاجة اليهم اذا اعتصموا بالله وصدقوا في معاملته لأن النصر بيده لا بيد غيره ، وقد وعد به المؤمنين وان قل عددهم وعدتهم كما سبق في الآيات وكما جرى لأهل الاسلام

في صدر الاسلام ويدلّ على ذلك أيضاً قوله تعالى:
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً من دونكم لا يالونكم خبالاً ودّوا ما عنتّم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون) فانظر أيها المؤمن إلى كتاب ربك وسنة نبيك عليه الصلاة والسلام كيف يحاربان موالاة الكفار والاستعانة بهم واتخاذهم بطانة ، والله سبحانه أعلم بمصالح عباده وأرحم بهم من أنفسهم ، فلو كان في اتخاذ الكفار أولياء من العرب او غيرهم والاستعانة بهم مصلحة راجحة لأذن الله فيه وأباحه لعباده ، ولكن لما علم الله ما في ذلك من المفسدة الكبرى والعواقب الوخيمة نهى عنه وذمّ من يفعله وأخبر في آيات أخرى ان طاعة الكفار وخروجهم في جيش المسلمين يضرهم ولا يزيدهم ذلك إلا خبالاً كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردّوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) وقال تعالى : (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ، ولأوضعوا خلالكم يبغونكم

الفتنة ، وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين) .
فكفى بهذه الآيات تحذيراً من طاعة الكفار والاستعانة بهم وتنفيراً منهم وإيضاحاً لما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة ، عافى الله المسلمين من ذلك .
وقال تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وقال تعالى : (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير) أوضح سبحانه ان المؤمنين بعضهم أوليـــاء بعض ، والكفار بعضهم أولياء بعض ، فاذا لم يفعل المسلمون ذلك واختلط الكفار بالمسلمين وصار بعضهم أولياء بعض ، حصلت الفتنة والفساد الكبير ، وذلك بما يحصل في القلوب من الشكوك والركون الى أهـل الباطل والميل اليهم ، واشتباه الحق على المسلمين نتيجة امتزاجهم بأعدائهم وموالاة بعضهم لبعض كمـا هو الواقع اليوم من أكثر المدّعين للاسلام حيث ولّوا الكافرين واتخذوهم بطانـة ، فالتبست عليهم الأمور بسبب ذلك حتى صاروا لا يميزون بين الحق والباطل ولا بين الهدى والضلال ، ولا بين أولياء الرحمن

وأولياء الشيطان ، فحصل بذلك من الفساد والاضرار ما لا يحصيه إلا الله سبحانه .

وقد احتج بعض دعاة القومية على جواز موالاة النصارى والاستعانة بهم بقوله تعالى : « لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) الآية ، وزعموا انها ترشد الى جواز موالاة النصارى لكونهم أقرب مودة للذين آمنوا من غيرهم ، وهذا خطأ ظاهر وتأويل للقرآن بالرأي المجرد المصادم للآيات المحكمات المتقدم ذكرها وغيرها ، ولما ثبت في السنة المطهرة من التحذير من موالاة الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وترك الاستعانة بهم ، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » والواجب ان تفسر الآيات بعضها ببعض ، ولا يجوز ان يفسر شيء منها بما يخالف بقيتها ، وليس في هذه الآية بحمد الله ما يخالف الآيات الدالة على تحريم موالاة الكفار من النصارى

وغيرهم ، وانما أتي هذا الداعية من سوء فهمه وتقصيره في تدبر الآيات والنظر في معناها والاستعانة على ذلك بكلام أهل التفسير المعروفين بالعلم والأمانة والامامة ، ومعنى هذه الآية على ما قال أهل التفسير وعلى ما يظهر من صريح لفظها ان النصارى أقرب مودة للمؤمنين من اليهود والمشركين ، وليس معناها أنهم يوادّون المؤمنين ، ولا ان المؤمنين يوادّونهم ، ولو فُرِضَ أن النصارى أحبوا المؤمنين وأظهروا مودتهم لم يجز لأهل الايمان ان يوادوهم ويوالوهم ، لأن الله سبحانه قد نهاهم عن ذلك في الآيات السالفات ومنها قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآية ، وقوله تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله) الآية ، ولا ريب ان النصارى من المحادّين لله ولرسوله ، النابذين لشريعته ، المكذبين له ولرسوله عليه أفضل الصلاة والسلام . فكيف يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ان يوادّهم او يتخذهم بطانة ؟ نعوذ بالله

من الخذلان وطاعة الهوى والشيطان .

وزعم آخر من دعاة القومية ان الله سبحانه قد سهل في موالاة الكفار الذين لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا ، واحتج على ذلك بقوله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين) وهذا كالذي قبله احتجاج باطل ، وقول في القرآن بالرأي المجرد ، وتاويل للآية على غير تاويلها . والله سبحانه قد حرم موالاة الكفار ونهى عن اتخاذهم بطانة في الآيات المحكمات ، ولم يفصل بين أجناسهم ولا بين من قاتلنا ومن لم يقاتلنا ، فكيف يجوز لمسلم ان يقول على الله ما لم يقل ، وأن ياتي بتفصيل من رأيه لم يدلّ عليه كتاب ولا سنة ؟ سبحان الله ما أحلمه . وإنما معنى الآية المذكورة عند أهل العلم الرخصة في الإحسان إلى الكفار والصدقة عليهم إذا كانوا مسالمين لنا بموجب عهد أو أمان أو ذمة ، وقد صح في السنة ما يدل على ذلك ، كما ثبت في الصحيح أن أم أسماء

بنت أبي بكر قدمت عليها في المدينة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهي مشركة تريد الدنيا ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم اسماء ان تصل أمها وذلك في مدة الهدنة التي وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة ، وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعطى عمر جبة من حرير فأهداها الى أخ له بمكة مشرك . فهذا وأشباهه من الاحسان الذي قد يكون سبباً في الدخول في الاسلام والرغبة فيه وايثاره على ما سواه ، وفي ذلك صلة للرحم ، وجود على المحتاجين ، وذلك ينفع المسلمين ولا يضرهم ، وليس من موالاة الكفار في شيء كما لا يخفى على ذوي الألباب والبصيرة .

وللقوميين هنا شبهة . وهي أنهم يقولون : إن التكتل حول القومية العربية بدون تفرقة بين المسلم والكافر يجعل العرب وحدة قوية وبناء شامخاً ، يهابهم عدوهم ويحترم حقوقهم . واذا انفصل المسلمون عن غيرهم من العرب ضعفوا وطمع فيهم العدو . وشبهة

أخرى وهي أنهم يقولون : ان العرب إذا اعتصموا بالاسلام وتجمعوا حول رايته حقـد عليهم أعداء الاسلام ولم يعطوهم حقوقهم وتربصوا بهم الدوائر خوفاً من أن يثيروها حروباً إسلامية ليستعيدوا بها مجدهم السالف ، وهذا يضرّنا ويؤخّر حقوقنا ومصالحنا المتعلقة بأعدائنا ويثير غضبهم علينا . والجواب : أن يقال : إن اجتماع المسلمين حول الإسلام ، واعتصامهم بحبل الله ، وتحكيمهم لشريعته ، وانفصالهم من أعدائهم والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء ، هو سبب نصر الله لهم وحمايتهم من كيد أعدائهم ، وهو وسيلة انزال الله الرعب في قلوب الأعداء من الكافرين حتى يهابوهم ويعطوهم حقوقهم كاملة غير منقوصة ، كما حصل لأسلافهم المؤمنين . فقد كان بين أظهرهم من اليهود والنصارى الجمع الغفير فلم يوالوهم ولم يستعينوا بهم ، بل والوا الله وحده ، واستعانوا به وحده ، فحماهم وأيدهم ونصرهم على عدوهم ، والقرآن والسنة شاهدان بذلك ، والتاريخ الاسلامي ناطق بذلك قد علمه المسلم والكافر . وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم

بدر إلى المشركين ، وفي المدينة اليهود ، فلم يستعن بهم ، والمسلمون في ذلك الوقت ليسوا بالكثرة وحاجتهم الى الانصار والأعوان شديدة ، ومع ذلك فلم يستعن نبي الله والمسلمون باليهود ، لا يوم بدر ولا يوم أحد ، مع شدة الحاجة الى المعين في ذلك الوقت ، ولا سيما يوم أحد . وفي ذلك أوضح دلالة على أنه لا ينبغي للمسلمين أن يستعينوا بأعدائهم ، ولا يجوز أن يوالوهم أو يدخلوهم في جيشهم لكونهم لا تؤمَن غائلتهم ، ولما في مخالطتهم من الفساد الكبير وتغيير اخلاق المسلمين ، والقاء الشبهة وأسباب الشحناء والعداوة بينهم ، ومن لم تسعه طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقة المؤمنين السابقين فلا وسع الله عليه . وأما حقد غير المسلمين على المسلمين اذا تجمعوا حول الاسلام ، فذلك مما يرضي الله عن المؤمنين ويوجب لهم نصره ، حيث أغضبوا اعداءه من اجل رضاه ونصر دينه والحماية لشرعه . ولن يزول حقد الكفار على المسلمين الا اذا تركوا دينهم واتبعوا ملة اعدائهم وصاروا في حزبهم ، وذلك هو الضلال البعيد والكفر

الصراح ، وسبب العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ ، ﴿ قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتّبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ فابان سبحانه وتعالى في هذه الآيات البيّنات أن الكفار لن يرضوا عنا حتى نتّبع ملتهم وندع شريعتنا ، وانهم لا يزالون يقاتلوننا حتى يردونا عن ديننا إن استطاعوا .

وأخبر أنه متى أطعناهم واتبعنا أهواءهم كنا من المخلدين في النار إذا متنا على ذلك ، نسال الله العافية

من ذلك، ونعوذ بالله من موجبات غضبه وأسباب انتقامه.

الوجه الرابع: من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة الى القومية العربية أن يقال: إن الدعوة اليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولا بد إلى رفض حكم القرآن، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن فيوجب ذلك لزعماء القومية ان يتخذوا احكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الاحكام. وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف. وهذا هو الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة، كما قال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً) وقال تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) وقال تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) وقال تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون) وقال تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم

الفاسقون) وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة بنص هذه الآيات المحكمات . يجب على أهل الاسلام بغضها ومعاداتها في الله ، وتحرم عليهم مودتها وموالاتها حتى تؤمن بالله وحده وتحكّم شريعته كما قال عز وجل : (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) .

فالواجب على زعماء القومية ودعاتها ان يحاسبوا انفسهم ويتهموا رأيهم وأن يفكروا في نتائج دعوتهم المشؤومة وغاياتها الوخيمة ، وان يكرسوا جهودهم للدعوة إلى الإسلام ونشر محاسنه والتمسك بتعاليمه والدعـوة الى تحكيمـه بدلاً من الدعـــوة الى قوميـــة أو وطنية ، وليعلموا يقيناً أنهم إن لم يرجعـــوا الى دينهم ويستقيموا عليه ويحكموه فيما شجر بينهم فسوف ينتقم الله منهم ويفرق جمعهم

ويسلبهم نعمته ويستبدل قوماً غيرهم يتمسكون بدينه ويحاربون ما خالفه كما قال تعالى : (وان تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) وقال تعالى : (فلما نسوا ما ذُكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مُبلسون . فَقُطِع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ قوله تعالى : (وكذلك أخذُ ربك اذا أَخذَ القرى وهي ظالمة إن أخذَهُ ألـيم شديد) .

فيا معشر القوميين راقبوا الله سبحانه وتوبوا اليه ، وخافوا عذابه واشكروه على إنعامه ، وذلك بتعظيم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والعمل بهما ، ودعوة الناس الى ذلك وتحذيرهم ممـا يخالفه ، ففي ذلك عز الدنيا والآخرة ، وصلاح أمر المجتمع ، وراحة الضمير وطمأنينة القلب ، والسعادة العاجلة

والآجلة والأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة .
وكل ما خالف ذلك من الدعوات فهو دعوة الى جهنم، وسبيل إلى قلق الضمائر واضطراب المجتمع وتسليط الأعداء وحرمان السعادة والأمن في الدنيا والآخرة ، كما قال ذو العزة والجلال في كتابه المبين : (فإما يأتينّكم مني هدًى فمن اتّبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامه أعمى . قال ربّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) .
فأبان سبحانه في هذه الآيات أن من اتبع هداه لم يضلّ ولم يشق ، بل له الهدى والسعادة في الدنيا والآخرة ، ومن أعرض عن ذكره فله المعيشة الضنك في الدنيا ، والعمى والعذاب في الآخرة . ومن ضنك المعيشة في الدنيا ما يبتلى به أعداء الإسلام من ظلمة القلوب وحيرتها ، وما ينزل بها من الغموم والهموم والشكوك والقلق ، وأنواع المشاق في طلب الدنيا

وجمعها والخوف من نقصها وسلبها وغير ذلك من أنواع العقوبات المعجلة في الدنيا كما قال الله سبحانه : (فلا تُعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) وقال تعالى : (ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) والآيات في هذا المعنى كثيرة نسأل الله أن يصلح قلوبنا ، وأن يعرّفنا بذنوبنا ، ويمنّ علينا بالتوبة منها ، وأن يهدينا وسائر إخواننا سواء السبيل إنه على كل شيء قدير .

* * *

ولنختم الكلام في هذا المقام بنبذة من كلام الكاتب المصري الشهير الشيخ محمد الغزالي تتعلق بالقومية قد أجاد فيها وأفاد ، حيث قال في كتابه (مـــع الله) صفحة ٢٥٤ ما نصه :

لا مكان للالحاد بيننا

ما هؤلاء الناس ؟ إنهم ليسوا عرباً ولا عجماً ولا

روس ولا أمريكان !! انهم مسخ غريب الأطـــوار صفيق الصياح، بليت به هذه البلاد إثر ما صنعه الاستعمار بها وترك بذوره في مشاعرها وأفكارهـا ، فهم - كما جاء في الحديث - من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا . بيد أنهم عدو لتاريخنا وحضارتنـا وعبء على كفاحنا ونهضتنا ، وعون للحاقدين على ديننا والضانين بحق الحياة له ولمن اعتنقه . ان هؤلاء الناس الذين برزوا فجاة وملأت ضجتهم الأودية كما تملأ الضفادع بنقيقها أكناف الليل، يجب أن يمزق النقاب عن سريرتهم وأن تعرفهم هذه الأمة على حقيقتهم حتى لا يروج لهم خداع ولا ينطلي لهم زور . ان هؤلاء الذين يلبسون مسوح العروبة ويندسون خلال صفوف المجاهدين، ويزعمون أنهم مبشرون بالقومية العربية ورافعون لألويتها ، وفي الوقت نفسه ينسحبون من تقاليد العروبة ويهاجمون أجلّ ما عرفت به ، ويبعثرون العوائق في طريق الإيمان ورسالته . ان هؤلاء الناس ينبغي أن يماط اللثام عن وجوههم الكالحة وان تلقى الأضواء على وظيفتهم التي يسرّها الاستعمار

لهم ووقف بعيداً يرقب نتائجها المرة ، وما نتائجها إلا الدمار المنشود لرسالة القرآن وصاحبها العظيم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم . لقد قرأنا ما يكتبون ، وسمعنا ما يقولون ، ولم يعوزنا الذكاء لاستبانة غاياتهم، فهم ملحدون مجاهرون بالكفر . يقولون في صراحة : إن الإسلام ليس إلا نهضة عربية فار بها هذا الجنس العظيم في القرون الوسطى ، واستطاع في فورتـــه العارمة أن يجتاح العالم بقيادة رجل عبقري هو الزعيم الكبير محمد صلى الله عليه وسلم ، أي أن هذا الدين الجليل نبت من الأرض ولم ينزل من السماء ، وانـه انطلاقة شعب طامح فاتح ، وليس هداية مثالية فدائية جاءت من عند الله لتنقذ العرب من جاهلية طامسة كانوا بها في مؤخرة البشر الى حنيفية سمحة رفعت خسيستهم ثم انتشر شعاعها بعد في أنحاء الأرض كما تنتشر الأضواء في عرض الأفق لدى الشروق . والفضل في ذلك كله لله وحده الذي اصطفى محمداً وامتنّ عليه بالهدى والحق بعد أن قال له : (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) وقال : (وأنزل الله عليك الكتاب

والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم) كما يقول في العرب الذين أُرسل فيهم : (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) فاي زحف عربي هنالك ؟ وأي عبقرية انشأت من عندها هذا الغيث المرع لأهل الأرض ؟ ان الزعم بأن الإسلام « فورة عربية » أكذوبة كبرى وأضلولة شائنة ، وإن هذا القول ليس تكذيباً للاسلام فقط بل دعوة خطيرة الى تكذيب الديانات كلها ، وإلى اشاعة الكفر والفسوق والعصيان في أنحاء الأرض ، والغريب ان هؤلاء الناس يخاصمون الإسلام بعنف ، ويحاربون أمته بجبروت ، ويهادنون الأديان الأخرى من سماوية وأرضية ، كأن الاسلام هو العدو الذي كُلّفوا باستئصاله وحده ، لا بل هو العقبة الفذة التي وضعت المعاول في أيديهم لإهالتها تراباً . أجل ، وهل للاستعمار عدو في هذه البلاد إلا الإسلام ؟ انه مصدر المقاومة العنيدة ، وروح الكفاح الباسل الذي أعيى المهاجمين وأحبط مؤامراتهم ، ومن ثم فعلى

الاستعمار أن ينسج خيوطه حوله ليقتله ويحول بينه وبين الحياة الكريمة. ولقد ابتدع القوميات الضيقة واستجباها بشتى الأساليب لينال من كيان هذا الدين، فلما سقطت أمام الإسلام في المعركة دسّ اتباعه تحت لواء القومية العربية، وزودهم بضروب من الإدعاء ليزحموا العرب المخلصين في هذا الميدان، ولينالوا من الإسلام بطريقة أخرى. وتفسير القومية العربية هذا التفسير الكفور الكنود هو حرب أخرى ضد الاسلام، وانه لجدير ان يتسمى هؤلاء باتباع القومية العبرية لا العربية. أليسوا يعملون لمصلحة الاستعمار واسرائيل؟ ولقد مرت أربعة عشر قرناً على اشتباك العروبة بالاسلام أو بتعبيرنا نحن أهل الإيمان على تشريف الله للعرب بحمل هذه الأمانة وإبلاغها للناس. ونظرة الى الماضي البعيد تعرفنا بسهولة ان العرب مرت عليهم أدهار قبل الإسلام لم يكونوا فيها شيئاً مذكوراً، ثم جاء هذا الدين فدخلوا التاريخ به وطار صيتهم تحت رايته، وصدق الله إذ يقول: (وإنه لذكرٌ لك ولقومك وسوف تُسالون) ثم أخطا العرب، فظنوا

هذا الدين العالمي الذي نزلت فيه آياته يمنحهم امتيازاً خاصاً ، ويجعلهم عنصراً أرقى من سائر الأجناس ، ونشأ عن هذا الخطأ رد الفعل الذي لا بد منه ، فقامت الشعوب الأخرى تدافع عن قيمة دمائها وكرامة عنصرها ، وهذه الأغلاط المتبادلة علّتها حنين البشر الى الجاهلية واستثقالهم مؤنة السعي لتحصيل الكمال الإنساني ، فاذا عزّ على شخص تافه أن يكون تقياً ينسبه عمله الى المجد والعلا ، ذهب ينتحل نسباً آخر الى أسرة او وطن او جنس ، ليرتفع به دون جهد ، وتلك كلها عصبيات باطلة ونزعات نازلة ، ولا محل لها في دين ، ولا وزن لها عند رب العالمين . ولكن المهم أن العرب الأولين لما أرادوا المفاخرة والتميز كان الاسلام مُتكاهم ومعقد فخارهم ، فباي شيء يملأون أفواههم إذا لم يذكروا الإسلام ؟ إن وطابهم خال وتاريخهم صفر ، حتى جاء الأفاكون في هذا الزمان بالبدعة التي لم يسمع بها انسان . فاذا العروبة في نظرهم يجب أن تتجرد من الإيمان ، وزعموا ـ قبحهم الله ـ انها بالإنسلاخ عن الدين تسمو وتسير ، بل ان

أحد الكتاب من هذه العصابة وجد الوجه الذي يطالع به الناس ليقول ان الإسلام جنى على العروبة ، وان اللغة العربية قد انتشرت أبعد مما انتشر الإسلام ، وان الإسلام – لأنه عالمي – ضار بالقومية العربية . وظاهر ان هذا الكلام ، بقطع النظر عن بطلانه، انما يروج لحساب الإستعمار الغربي منـــه والشرقي على السواء ، وان قائله يخدم أهداف الغزاة الذين عسكرت جيوشهم في بعض أقطار العروبة وأنزلت بها الهون، ووقفت على حدود البعض الآخر تتربص بـــه الدوائر .

وكاتب آخر من هذه العصابة يطلب منا بإلحاح أن ننسى التاريخ لأنه لا يضم إلا رفات الموتى ، وان نتطلع إلى المستقبل فحسب . ونسي هـذا الغرّ أن اليهود في كبد الشرق الأوسط أقاموا دولتهم بأمداد من التاريخ الموحى ، وانهم جعلوا اسم اسرائيل علماً عليها . إنه حلال للناس جميعاً أن يستصحبوا تاريخهم في كفاحهم ، أما نحن المسلمين فحرام علينا أن نذكر

فصلاً من هذا التاريخ، وان نستوحي منه عوناً في جهاد وأملاً في امتداد. إنها قومية عبرية لا عربية تلك التي يبشر بها الملحدون وكارهو الإسلام، ولقد عرف الأولون والآخرون أننا نحن المسلمين أحنى الناس على العروبة وأوصلهم لمجدها وأخلصهم لقضاياها، وان هؤلاء القوميين لا خير فيهم بل انهم مصدر شر طويل وأذى ثقيل' .

انتهى ما أردنا نقله للقراء من كلام الشيخ محمد الغزالي ههنا، وقال أيضاً في كتابه المذكور صفحة ٣٤٧ ما نصه :

الهدم الروحي :

يجتهد الإستعمار في صرف المسلمين عن دينهم بكل ما يتاح له من وسائل، وفي جعل حركات التحرر الناشطة في بلادهم مبتوتة العلاقة بالدين حتى تولد ميتة أو تحيا عقيمة لا ثمر لها ولا زهر. وما من نهضة في الأولين والآخرين إلا ولها دعامة معنوية تقوم

عليها ، وسناد روحي تتحرك به . ولما كان عمل الدين في هذه الحالة ملء القلوب بالضمائر الحية وبناء الأخلاق على الفضيلة ، وصبغ الحياة بتقاليد جامعة ومعالم واضحة ، ورص الصفوف على إحساس مشترك ودفعها الى مصير واحد ، فان الاستعمار استهدف اقصاء الدين عن آفاق البلاد كلها ، وتكوين أجيال غريبة عنه ، إن لم تكن كارهة له .. بل ان ذكر الاسلام أصبح محظوراً في المناسبات الجادة والشؤون الهامة ، وقد يحوم البعض حوله ولكنه يوجل من التصريح به ، كأن الاسلام مجرم ارتكب ذنباً ثم فر من القضاء الذي حكم بعقوبته فهو لا يستطيع الظهور في المجتمعات ، وربما تلوح له فرصة الظهور متنكراً تحت اسم مستعار فيتحرك قليلاً هنا وهناك ، حتى إذا أحسّ انكشاف أمره استخفى من الأنظار ، يا عجباً لماذا يلقى الإسلام هذا الهوان كله ؟ والجواب عند الإستعمار الذي يجرّ خلفه ضغائن القرون الاولى ، ويضع نصب عينه ألا تقوم للإسلام قائمة في بلاده ، فهو حريص على خنقه في ميدان التربية والمعاملات

والتشريع وسائر ألوان الحياة . إنه يطمئن إلى مجتمع واحد ، المجتمع الذي مات ضميره والذي تفسخت أخلاقه . في هذا المجتمع الذي غاصت منه معاني الفضل واستغلظت فيه غرائز الشره وزحفت فيه ثعابين الأثرة . يستطيع الإستعمار أن يطمئن إلى يومه وغده، فإذا جاء الإسلام ليمسح هذه الأقذار ، طلب منه على عجل أن يعود الى وكره ليخفى عن الأعين .. انه اسم لا ينبغي أن يذكر وحقيقة لا يجوز أن تعيش .

هكذا حكم الإستعمار حتى قيّض الله لنا فكرة العروبة عنواناً نستطيع تحته أن ندفع غوائل الموت . وقد هششنا للفكرة ورجونا من ورائها الخير .. وللعروبة المجردة مُثل تعكر على الاستعمار مآربه .. ان التعليم في ظل الاحتلال الأجنبي خلق أناساً تحركهم الشهوات وحدها ، أناساً فرغت عواطف اليقين من أفئدتهم فهي هواء ، فاذا جاءت اليهم العروبة فهل يعرفون ان العفة من خلائقها ، وان تقديس العرض من شمائلها ، وان المحافظة على الحريم من صفاتها

الباطنة والظاهرة .. ان أمثال العرب في الجاهلية تشهد بما كان لهم من غيرة على نسائهم ، فالمثل القائـــل : (كل ذات صدار خالة) يعني ان العرب يجعلون في حكم الخالة كل من تلبس ثياب المرأة ، فما ينظرون اليها إلا نظرة الاحترام والعفة ، وذلك أن الخالة بمنزلة الأم ، ويقول الشاعر :

وأغض طرفي إن بدَتْ ليَ جارتي
حتى يواري جارتي مثواها [1]

ويقول الآخر :

ولا ألقي لذي الودعات سوطي
أداعبه ، وريبته أريـــد . . ! [2]

يعني أنه يلاعب طفلاً مع أمه ابتغاء اثم بالأم نفسها . فهل هذه الشوارع الغاصة بمتتبّعي العورات وبغاة الدنية شوارع عربية ؟ وهل عرب أولئك الذين ترى الواحد منهم يتأبط ذراع فتاة متبرجة لعوب

---

١ ـ البيت لعنترة ، انظر ديوانه ٣٠٨ ـ طبع المكتب الاسلامي

٢ ـ هو لعلقمة بن علقة المري ، تاج العروس ٥/٥٢٤ ،

تسير في وضع يقول لكل ناظر (هيت لك) ؟ والعرب الأقدمون كانوا أصحاب كرم غريب وإيثار لامع ونهوض بالحق على عضّ الزمن وشدة الحاجة ، واسمع قول عروة بن الورد :

وانّي امرؤ عافى إنائي شركة
وأنت امرؤ عافى إناؤك واحد
أتهزأ مني ان سمنت وان ترى
بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
أفرق جسمي في جسوم كثيرة
واحسو قراح الماء والماء بارد

أرأيت صورة الإنسان النبيل يؤثر غيره بالطعام ويستعيض برشحات من الماء البارد يصفر بها وجهه وهو يأبى تضييع من نزلوا به ، وحسبه انه فرق جسمه في جسوم كثيرة .

احتفظ بهذه الصورة ، ثم سل نفسك : أمدن عربية هذه التي تراها مزدحمة بأصحاب الفضول من المال

النامي ، ومع ذلك فقلما تؤوي يتيماً أو تغذو محروماً .
وما لنا نبحث عن الشمائل العربية المفقودة في بيئات مسخها الاستعمار وترك عليها طابع الحيوانية والتقطع، انك ترى الواحد من أولئك يقول إنه عربي ولغة العرب لا تستقيم على فمه . ومن أعاجيب الليالي أن أسمع المذيع مثلاً يقول : يا أخي المواطن ، احنا بنعمل ايه في هذه الأيام . وكان يستطيع أن يقول ما نعمل في هذه الأيام ، ولكنه حريص على تخليد لغة الرعاع والتنكّر للغة الفصحى وهي اللغة التي ترسل بها الإذاعات من جميع محطات العالم لمستمعيها على اختلاف ألسنتهم إذ ان يخاطب المذيع قومه في أي عاصمة بلغة غير الفصحى ، فهل من مظاهر الوفاء لعروبتنا أن نذيع نحن بلغة الرعاع ؟

الواقع انّ الإسلام وحده هو الذي يخلد العروبة لغة وأدباً وخلقاً ، وان التنكر لهذا الدين معناه القضاء الحقيقي على العروبة في لغتها وأدبها وخلقها ، ولذلك يجب على الدعاة أن يستميتوا في إبراز هذا الإسم بقدر

ما يستميت الاستعمار في اخفائه ، وأن يُذهبوا عنه الوحشة التي صنعها أعداؤه حوله حتى يصبح مألوفاً في الآذان ، محبباً الى القلوب . واظهار هذا الاسم لا يكفي ، فما قيمة شكل لا جوهر له . يجب على الدعاة أن يجمعوا الجماهير على تعاليمه « وان ينعشوا أنفسهم بروحه » .

الضمير الديني الخاشي لله ، الرحيم بخلقه ، المحتفي بالواجبات ، النفور من الرذائل ، الشجاع في نصرة الحق ، المستعد للقاء الله ، المتأسي بصاحب الرسالة ، هذا الضمير ، يجب أن ندعمه بل أن نوجده في كل طائفة ، وان يربط به انجاز كل عمل ونجاح كل مشروع ، ومنع كل تفريط ، وصيانة كل حق ، فالإسلام قبل كل شيء قلب كبير ، قلب موصول بالله ، يبادر لمرضاته ويتقيه حيث كان ، وهذا القلب لا يتكون من تلقاء نفسه ويستحيل أن يتكون بداهة وسط تيارات الشكوك والتجهيل التي تسلط عليه عمداً ليتوقف ويزيغ ، انه يتكون باغذية روحية

منظمة تُقدّم له في برامج التعليم ، وفي عظــات المساجد ، وفي صبغ البيئة بمعانٍ معينة تساعد على احترام الفضيلة واشاعتها ، ونحن أحوج ما نكون لانشاء هذه الضمائر في الذراري المحدثة التي عريت عنها ، والطبقـات الكثيفة التي مردت على العبث والاستخفاف بجميع القيم ، انني أستغرب كيف نشتري آلة ما باغلى الأسعار ثم نوقف أمامها عاملاً لا يتقي الله ، فهي تخرب بين يديه على عجل أو يقل إنتاجها لو قُدّر لها البقاء سليمة . اننا لو بذلنا شيئاً زهيداً لغرس التدّين الحق في قلب هذا العامل لربحنا الكثير ، أفلا يبذل المسؤولون هذا الشيء الزهيد ولو على أعتباره نفقات صيانة للآلة التي اشتريت ؟. إن من حق الله علينا ومن حق بلادنا علينا أن نربي الصغار والكبار على رعاية هذا الجانب الروحي الجليل ، ويوم يتّنادون باسم الإيمان لابتداء عمل ما ، فسوف يتم على خـير الوجوه . إن للضمير الديني علاقـة راشدة بالسماء ، ونواة مباركة في الأرض ، وما أصدق قول الأستاذ أحمد الزين في وصفه :

هو صوت السماء في عالم الـ

أرض وروح من اللطيف الخبير

وشعاع تـــذوب تحت سناه

خِدَعُ العيش من رياء وزور

هـــو سر يحار في كنهه اللب

وتعيا به قوى التفكير

مبلغ العلم أنه روح خيرٍ

باطن الشخص ظاهر التاثـير

كل حيّ عليه منـــه رقيب

حلّ من قلبه مكان الشعور

حلّ حيث الأهواء تنزو الى الإثـ

م وتهفو الى مهاوي الشرور

جامحاتٍ أعيت على الناس كبحاً

رغم إنذارها بسوء المصير

ثم صاح الضمير فيها نذيراً

فاصاخت إلى صياح النذير

هو روح مـــن الملائك يسمو

بسليل الثرى لعـــالم نور

فـد تولت بالأنبياء عصور
وهو باقٍ على توالي العصور
حافظاً في الزمان ما خلّفوه
قائمـاً في الصدور بالتذكير
حاملاً من شرائع الخير كتباً
قُدّست من صحائفٍ وسطور
ليس يعفو عن الهنات وإن أنـ
ـت مُلحٌ في اللوم والتعذير

ونحن ننشد هذا الشعر هنا تكريماً للأدب العالي ، وإلا فلا مجال لقول بعد أن نتدبر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » .

انتهى المقصود من كلام الغزالي في كتابه (مع الله) . ولعظيم فائدته نقلته هنا ، وأسأل الله عز وجل أن يصلح قلوب المسلمين ويعمرها بتقواه وان يمن علينا وعلى جميع شبابنا وسائر إخواننا بالفقه في

الدين والاستقامة على صراط الله المستقيم ، فان ذلك هو سبيل النجاة والفوز بالعزة والكرامة في الدنيا والآخرة ، كما قال الله سبحانه : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) وقال تعالى : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياءكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون . نزلاً من غفور رحيم) وصحّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم انه قال : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » والله أعلم .

وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

تكميل

في المحرم من العام الماضي ، أعني عام ١٣٨٠ سألني مندوب صحيفة « البلاد » عن مسائل ، بعضها يتعلق بالقومية ، فأجبته بما نشر في صحيفة البلاد .

ولتكميل الفائدة للقراء رأيت أن أذكر السؤال والجواب ههنا وهذا نصهما :

السؤال الأول : ما رأي فضيلتكم في الدعوة التي تقوم بها بعض الأوساط الخارجية إلى أن القومية العربية وحدها هي الرابطة الأولى بين العرب ؟

السؤال الثاني : ما رأي فضيلتكم في الاتجاه الذي يبدو واضحاً في هذه الأيام للمقارنة بين القومية والإسلام ، والذي يظهر في بعض الجرائد والمجلات بالمملكة ؟

السؤال الثالث : بعض المخلصين من الوعاظ يعالجون في وعظهم بعض الأمور البسيطة الفرعية في الدين كطريقة حلاقة الرأس ، أو شكل الملابس ، في

حين أن هناك أموراً هامة تتصل بالعقيدة ، تحتاج من هؤلاء المخلصين من الدعاة الى عناية خاصة لأنها أمور هامة أساسية ، فما رأي فضيلتكم في هذا ؟

السؤال الرابع : تود جريدة البلاد أن تحمل من فضيلتكم نصيحة الى قرائها من مختلف الطبقات فما هي ؟

الجواب على السؤال الأول : أن يقال لا ريب أن الدعوة الى أن تكون القومية العربية هي الرابطة الأولى بين العرب ، دعوة باطلة لا أساس يؤيدها لا من العقل ولا النقل ، بل هي دعوة جاهلية إلحادية يهدف دعاتها إلى محاربة الإسلام والتملص من أحكامه وتعاليمه . وقد يدعو اليها من لا يقصد هذا المعنى وانما دعا اليها تقليداً لغيره وإحساناً للظن به ، ولو عرف حقيقة المقصود منها لحاربها وابتعد عنها . وكل من له أدنى معرفة بتاريخ العرب قبل الإسلام وبعده يعلم أنه لم يكن للعرب كبير قيمة تذكر ولا راية ترهب إلا بالاسلام ، وبه فتحوا البلاد وسادوا العباد .

وبه كانوا أمة عظيمة مرهوبة الجانب محترمة الحقوق مرفوعة الرأس ، حتى غيروا فغُيّر عليهم كما قال الله سبحانه : (ان الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيروا ما بانفسهم) . الآية . ولا أحب ان أطيل في هذا الميدان لأن الصحيفة لا تتحمل ذلك ، والحق في ذلك أوضح من الشمس لا يعترض فيه من له أدنى إلمام بحال العرب والإسلام ، وما أحسن قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (فاستمسك بالذي أوحي اليك إنك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسالون) وقوله تعالى : (لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون) ، واذا كان الهدف من الدعوة الى القومية العربية ان يجتمع العرب وأن يشتركوا في مصالحهم وأن ينتصفوا من عدوهم ويطردوه عن بلادهم ، فليس هذا هو السبيل للوصول الى هذا الغرض النبيل ، وانما السبيل الوحيد هو الرجوع الى دينهم الحق الذي به شُرّفوا وعُرفوا وبرزوا في الميدان وسادوا الأمم ، والتمسك بتعاليمه السمحة وأحكامه الرشيدة ، وتحكيمه في كل شيء . والموالاة في ذلك والمعاداة فيه ، وبذلك يحصل الاجتماع وتدرك المصالح

وينتصف من الأعداء ويكون النصر عليهم مضموناً والعاقبة حميدة في الدنيا والآخرة كما قال تعالى في محكم التنزيل : (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقال تعالى : (ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) وقال تعالى : (وعـــد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) الآية . والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة ، وما أحسن ما قال مالك بن أنس ـ رحمة الله عليه ـ في هذا المعنى : « لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها » لقد صدق هذا الإمام في هذه الكلمة القصيرة العظيمة . أللهم أصلحنا وولاة أمرنا جميعاً وسائر المسلمين إنك سميع قريب .

وأما السؤال الثاني فالجواب عنه : ان يقال إن من أعظم الظلم وأسفه السفه أن يقارن بين الاسلام وبين القومية العربية . وهل للقومية المجردة عن الاسلام من المزايا ما تستحق به أن تُجعل في صف الاسلام أن يقارن بينها وبينه ؟ لا شك أن هذا من أعظم الهضْم للاسلام والتنكر لمبادئه السمحة وتعاليمه الرشيدة.

وكيف يليق في عقل عاقل أن يقارن بين قومية، لو كان أبو جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة واضرابهم من أعداء الاسلام أحياء لكانوا هم صناديدها وأعظم دعاتها ، وبين دين كريم صالح لكل زمان ومكان ، دعاته وأنصاره هم محمد رسول الله وأبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي ابن أبي طالب ، وغيرهم من الصحابة صناديد الاسلام وحماته الأبطال ومن سلك سبيلهم من الأخيار؟ لا يستسيغ المقارنة بين قومية هذا شأنها وهؤلاء رجالها ، وبين دين هذا شأنه وهؤلاء أنصاره ودعاته، إلا مصاب في عقله ، أو مقلد أعمى ، أو عدو لدود للاسلام ومن جاء به . وما مثل هؤلاء في هذه المقارنة إلا مثل من

قارن بين البعر والدر ، أو بين الرسل والشياطين . ومن تامل هذا المقام من ذوي البصائر ، وسبر الحقائق والنتائج ، ظهر له أن المقارنة بين القومية والاسلام أخطر على الاسلام من المقارنة بين ما ذكر آنفاً . ثم كيف تصح المقارنة بين قومية غاية من مات عليها النار ، وبين دين غاية من مات عليه الفوز بجوار الرب الكريم ، في دار الكرامة والمقام الأمين ؟ أللهم أهدنا وقومنا سواء السبيل انك على كل شيء قدير .

الجواب الثالث : لا ريب أن المرشدين هم أطباء المجتمع ، ومن شان الطبيب أن يهتم بمعرفة الأدواء ثم يعمل على علاجها بادئاً بالأهم فالاهم ، وهذه طريقة أنصح الأطباء وأعلمهم بالله وأقومهم بحقه وحق عباده ، سيد ولد آدم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم ، فانه صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله ، بدأ بالنهي عن أعظم أدواء المجتمع وهو الشرك بالله سبحانه ، فلم يزل صلى الله عليه وسلم من حين بعثه الله يحذر الأمة من الشرك ويدعوهم الى التوحيد إلى

أن مضى عليه عشر سنين ، ثم أمر بالصلاة ، ثم ببقية الشرائع . وهكذا الدعاة بعده : عليهم أن يسلكوا سبيله وأن يقتفوا اثره ، بادئين بالأهم فالأهم ، ولكن إذا كان المجتمع مسلماً ساغ للداعي أن يدعو الى الأهم وغيره ، بل يجب عليه ذلك حسب طاقتـه ، لأن المطلوب اصلاح المجتمع المسلم وبذل الوسع في تطهير عقيدته من شوائب الشرك ووسائله ، وتطهير أخلاقه مما يضر المجتمع ويضعف إيمانه . ولا مانع من بداءته بعض الأوقات بغير الأهم إذا لم يتيسر الكلام في الأهم ، ولا مانع أيضاً من اشتغاله بالأهم وإعراضه عن غير الأهم إذا رأى المصلحة في ذلك وخاف إن هو اشتغل بهما جميعاً ان يخفق فيهما جميعاً . وهكذا شأن المصلحين والأطباء المبرّزين ، يهتمون بطرق الاصلاح ويسلكون انجعها وأقربها الى النتيجة المرضية ، وإذا لم يستطيعوا تحصيل المصلحتين او المصالح ، او تعطيل المفسدتين او المفاسد ، اهتموا بالأهم من ذلك واشتغلوا به دون غيره . ومن تأمل قواعد الشرع وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرة خلفائه

الراشدين والأئمة الصالحين علم ما ذكرته وعرف كيف يقوم بإرشاد الناس وكيف ينتشلهم من أدوائهم الى شاطىء السلامة . ومن صلحت نيته وبذل وسعه في معرفة الحق وطلب من مولاه الهداية إلى خير الطرق وأنجعها في الدعوة واستشار أهل العلم والتجارب فيما أشكل عليه ، فاز بالنجاح وهُدي الى الصواب كما قال الله سبحانه : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) .

الجواب الرابع : نصيحتي لجميع القراء هي أن يأخذوا بوصية الله سبحانه التي أوصى بها كتابه الكريم حيث يقول : (ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) والتقوى كما يعلم القارىء الكريم كلمة جامعة ، حقيقتها أن يتقي العبد غضب الرب وعذابه بفعل ما أمر الله به ورسوله ، وترك ما نهى الله عنه ورسوله ، عن علم وإيمان وإخلاص ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يفوز بالسعادة وحسن العاقبة في

الدنيا والآخرة . ومما أنصح به القراء وهو من جملة التقوى ، التثبت في الأمور ، والتريث في الحكم عليها إلا بعد دراستها من جميع نواحيها ، وبعد التحقق من معناها ومعرفته معرفة تامة بعرض ذلك المعنى على الميزان الشرعي وهو كتاب الله وما صح من السنة ، فما وافق ذلك الميزان قُبل ، وما خالفه ترك، ويجب أن يكون القارىء في دراسته للأشياء وعرضه لها على الميزان المذكور بعيداً كل البعد عن الافراط والتفريط ، متجرداً عن ثوبي التعصب والهوى . ومتى سلم من هذه الأمور ودرس الأمور حق دراستها بإخلاص وقصد حسن وُفّق للحقيقة وفاز بالصواب وحمد العاقبة . وكم جرت العجلة على أصحابها وغيرهم من ويلات ومشاكل تذهب الأيام والليالي وآثارها وتبعتها باقية ؟ وكم حصل بسبب التعصب والهوى من فساد ودمار وعواقب لا تحمد ؟ نسأل الله السلامة من ذلك . ومما أنصح به القراء أيضاً وهو من أهم التقوى دعوة العباد الى الله سبحانه والتواصي

بالحق والصبر عليه والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والتغيير حسب الطاقة كما في الحديث الصحيح: «من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»

وأسأل الله للجميع الثبات على الحق والعافية من مضلات الفتن إنه خير مسؤول وأكرم مجيب

والله أعلم. وصلى الله وسلم

على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم.

للمؤلف

- الفوائد الجلية في المباحث الفرضية

الأدلة الكاشفة لأخطاء بعض الكتاب

- الجواب المفيد في حكم التصوير .

- الأدلة العقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود الى الكواكب .

- التحقيق والايضاح للكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنّة .